وَليُّ الدِّينِ بْنُ خَلدونَ
المُؤَرِّخُ الفَيلسوفُ
(732 ـ 808هـ)

أَعَزّائي وأَحِبَّائي:

وَليُّ الدِّينِ بْنُ خُلدونَ، المُؤَرخُ الفيلسوفُ، ورَائِدُ فَلسَفةِ التَّاريخِ، والعبقريُّ المُخَضْرَمُ الّذي اتَّسَمَتْ مَعارفُهُ وعلومُهُ بِسعةِ الاطِّلاعِ، وبِدِقَّةِ النَّظَرِ، وبِغَزارَةِ العِلمِ، اتَّسَمَ مَنْهجُهُ العِلميُّ بِالتَّوفيقِ بَيْنَ العَقلِ والنَّقلِ، وبَينَ العِلمِ والوَحِي، وبينَ الشَّريعَةِ والحِكمةِ.

هَوَ مُفكِّرٌ وفَيلسوفٌ وَمُؤرِّخٌ وعَالِمُ اجتماع، وجُغرافيٌّ، وسِياسيٌّ لامِعٌ، كُلُّ ذَلِكَ اجتمَعَ في شَخصيَّتِهِ العِلميَّةِ، بلْ لا نُغالي إذا قُلنا عَنْهُ بِأَنَّهُ كَانَ يُمثِّلُ العِلمَ بِكُلِّ فُروعِهِ واختصاصاتِهِ، بَلْ هُوَ العِلمُ مُتَمثِّلاً بِرَجُلٍ. ولا يَخْفَى على العَاقِلِ البَّصيرِ تَأْثيرُ ابْنِ خَلدونَ على الفكرِ الأُوربيِّ، وعَلَى ارتقاءِ العِلمِ وازْدِهارِهِ فيما يَخصُّ عِلْم الاجتماع، والتَّاريخِ، والمعارف الجُغرافيَّة، والعُلوم النَّظريَّة الأُخْرى.

وَليُّ الدِّينِ بْنُ خَلدونَ الّذي سَارَتْ بِمعارِفِهِ الرُّكبانُ في عَصرِهِ، وفي العُصورِ الّتي تَلتْهُ حَتَّى عَصرِنا هَذا، قَدْ تحمَّل مِنْ عَناءِ الحياةِ، ومِنْ صُروفِ الزَّمانِ، ومِنْ عُسْفِ الحُكَّامِ

مِنْ أَجْلِ أَنْ يَهبَ العِلمَ والمعرفَةَ لِلآخرينَ، هُوَ جَديرٌ بِأَنْ يَكونَ أَهَمَّ مُفَكِّرٍ وعالِمٍ جَادَتْ بِهِ الحضَارَةُ العربيَّةُ الإِسلاميَّةُ، كَما اعْترفَ بِذَلِكَ عُلماءُ الغَربِ ومُفكروهُ، وَفَوقَ ذَلِكَ وذاكَ، هُوَ مُفكِّرٌ مُتَّزِنٌ، لا يَحيدُ عَن الحَقِّ، ولا يَحرفُهُ الهَوى عَنْ تَوَخي الحقيقَةِ، ولَمْ تَلوِ بِهِ صِراعاتُ الحَياةِ الّتي وَقَفَتْ حَجَرَ عثرةٍ في طريقِهِ وسَعيهِ نَحو العِلمِ والمَعرفَةِ، لأَنَّهُ كانَ يُؤمِنُ إِيماناً عميقاً بِأَنَّ مهمَّةَ العالِمِ والمُفكِّر لا تَقِفُ عِنْدَ حَدِّ حِفظِ المعلوماتِ والمَعارفِ وتَرديدِها، وإِنَّما مهمَّةُ العَالِمِ تنويرُ العقولِ، وحَفْزُ هِمَمِ أَبناءِ المُجْتَمعِ الّذي يَعيشُ فيهِ نَحْوَ التَّغييرِ وإِصلاحِ الحياةِ والمَعاشِ، ومُواجَهة الظُّلمِ والاسْتبدادِ بِالتَّعليمِ وَالتَّثقيفِ، والعَمَلُ بِمُقتَضَى العَقلِ والحَقِّ.

ولِهذا كانَ إِنتاجُ ابْنِ خَلدونَ العِلميُّ، مُتأَثِّراً بِآرَائِهِ ومَبادِئِهِ الّتي آمَنَ بِها، وسَعَى إِلى تحقيقِها في الحياة، فَهْوَ يتميَّزُ عَنْ غيرِهِ مِنَ العُلماءِ والمُؤَرخينَ بِفكرِهِ الحَيِّ، وقد اهتمَّ بِالبَحثِ عَنْ عِلَلِ وأَسبابِ الأَحداثِ والوَقائِعِ التَّاريخيَّةِ، ولَمْ يَدرُسْها مِنْ حيثُ زَمان وَمكان حُدوثِها، وإِنَّما اكْتشَفَ قَوانينَ حُدوثِها والعَوامِلَ المؤثرةَ بِها، وأَعْطَى عِلمَ التَّاريخِ أَبعاداً جَديدةً، وميادين لَمْ تكَنْ مَطروقَةً مِنْ قبل، وأَمَاطَ اللِّثامَ عَنْ حَقائقَ هامَّةٍ وَضَعَت الأَسُسَ الأُولى لِلَمنهجِ العِلميِّ في الأَبحاثِ التَّاريخيَّةِ.

هذهِ الثَقافَةُ الموسوعيَّةُ المُتَأَلِّقَةُ الّتي حَواها ابْنُ خَلدونَ في شَخصِهِ، هي نتيجةُ بَحثٍ واطِّلاعٍ وسَهَرٍ وَاجتهادٍ وتَحمُّل لِوَعْثاءِ السَّفرِ اسْتَّمرَ زَهاءَ نِصْفَ قَرنٍ مِنَ الزَّمَنِ حَتَّى تَمخَّضَ عَنْها إِنتاجُهُ العِلميُّ، ومُؤَلفاتُهُ الهَامَّةُ في التَّاريخِ والعُمرانِ البَشري، الّتي أَغنَت الفِكرَ الإِنْسانيَّ بِروافِدَ جَديدةٍ لَمْ تَنضَبْ كُنوزُها إِلى يَومِنا هَذا.

فَمَنْ هُوَ وَليُّ الدِّينِ بْنُ خَلدونَ؟

❋ ❋ ❋

هُوَ أَبو زَيدٍ عَبْدُ الرَّحمنِ بْنُ مُحمَّدٍ بْنِ مُحمَّدٍ بْنِ خَالِدِ الخَطَّابِ الكَنديِّ الحَضرميِّ المُلَقَّبُ بِوَليِّ الدِّينِ، المَعروفُ بِابْنِ خَلدونَ نسبَةً إِلى جَدِّه الأَكبرِ ابْنِ خَلدونَ الأَندَلُسيِّ.

فَوَليُّ الدِّينِ بْنُ خَلدونَ ينتسبُ إِلى أُسْرَةٍ عَربيَّةٍ أَصيلةٍ مَنسوبَةٍ إِلى عَرَبِ اليَمنِ في حَضَرموتَ.

فَلمَّا فَتَح العَربُ المُسْلمونَ الأَندلُسَ بقيادَةِ طارقِ بْنِ زياد ثمَّ بِقيادَة مُوسَى بْنِ نُصيرٍ بَعْدَهُ، كَانَ مِنْ بينِ قُوَّادِ جُيوشِ الفَتحِ، رَجُلٌ يمنيٌّ مِنْ أَجنادِ اليَمنِ أو اليمانيَةِ ـ كما كَانَ يُطْلَقُ وَقتها ـ مَعروفٌ بِالحِكمَةِ وسَدادِ الرَّأي اسْمُهُ «خالِدُ بْنُ الخَطَّابِ»، سَكَن في مدينَةِ «قرموتَةَ» ثُمَّ انْتَقَلَ للعيشِ مَعَ أَفرادِ أُسرتِهِ في مَدينَةِ إِشبيليَّةَ واشتُهِرَ فيها كواحدٍ مِنْ أَعيانِ القَوم، ومِنْ أَفْضَلِهِمْ مَنْزِلَةً، ولَمَّا كانَ مِنْ عادَةِ العَربِ أَنْ تُضيفَ إِلى الاسمِ واواً ونُوناً للدِّلالَةِ على مكانَةِ المُسَمَّى الرَّفيعَةِ أُطْلِق عَلى خَالِد بْنِ الخَطَّابِ ابْنَ خَلدونَ.

وكانَ لِأُسرَةِ ابْنِ خَلدونَ وأَحفادِهِ مكانَةٌ وهيبةٌ عِنْدَ عَربِ الأَنْدَلس، وحِظوَةٌ عِنْدَ حُكَّامِهم، وبِشَكلٍ خاصٍّ عند «بنِي الأَحمر» الّذين حَكموا قِطاعاً كبيراً منْ بِلادِ الأَنْدَلُسِ.

وعِنْدَما توالَى الخَطَرُ الإِسْبانيُّ عَلى العَربِ في الأَنْدلُسِ نتيجةَ ضَعْفِ العَربِ والمُسلمينَ وتفكُّكِهِمْ، هَجَرَ آلُ الخَطَّاب المَعروفُ بِآلِ ابْنِ خَلدونَ إِلى بِلادِ المَغربِ الأَقصى، وسَكنوا في مَدينة «سبتَةَ» على السَّاحِلِ الغربيِّ المُحاذي لِسَواحِلِ بِلادِ الأَنْدلُسِ.

ومَعَ الأَيام نَزَحَ قِسمٌ مِنْهُمْ إِلى تونُسَ الخَضراءِ، وسكنوا في مدينة تُونُسَ عاصِمَة البِلادِ حالياً.

فَقَدْ وُلِدَ وَليُّ الدِّينِ عَبدُ الرَّحمَنِ بْنُ خلدونَ في تُونُسَ عام (732) هجريَّةً في بَيْتِ عِلمٍ وأدبٍ ودينٍ، حَيْثُ كان والِدهُ مُحمَّدُ بن محمَّدٍ الكنديُّ الحَضرميُّ مِنْ عُلماءِ وفُقهاءِ مَدينة تُونُسَ، فَتَلقَّى عِلمَهُ في بِدايَةِ حياتِهِ على يَدِ أَبيه، وعَلَى نَفرٍ مِنْ عُلماءِ تُونُسَ، فحفظَ القُرآنَ، ودَرسَ عُلومَ الفِقهِ والتَّفسير واللُّغَة والنَّحوِ، ثُمَّ توسَّعَ في طَلبِ العِلم وبَرع في الأَدبِ والمنطقِ والفَلسفَةِ، ورَحلَ إِلى مَدينةِ فَاس وأَخَذَ عَنْ بَعضِ عُلمَائِها المَشهورينَ، الّذينَ أَجازوهُ، ثُمَّ انتَقَلَ مِنْ فاس إلى مَدينةِ تَلمسانَ وبِجايَة في الجزائِرِ وطاب لَهُ المقامُ في الجَزائرِ.

اسْتَدعاهُ سُلطان فاس «أَبو عنانِ المريني» مُنْشِئُ الدُّولةِ المَرينيَّهِ في بلادِ المَغربِ آنَذاك، وضَمَّهُ إِلى رُوَّادِ مَجلسِهِ العَلميِّ، وأَسْنَدَ إِليهِ بَعضَ الأَعمالِ الإداريَّةِ في الدَّولةِ سنة (765) هجريَّةً، وَلكِنَّه لَمْ تُعجِبْهُ الإقامَةَ في فَاس، رُبَّما لِأَنَّهُ دَاخَلَ نَفسَهُ بَعضُ الكُرهِ لأَداءِ الدَّولةِ المَرينيَّةِ، فَاهْتَبَل إِحدى الفُرَصِ، ونَزحَ إِلى بِلادِ الأَنْدلُسِ الّتي كانَ يتوقُ إِلى زيارَتِها والتَّعرفِ عَلى علمائِها الّذينَ طارَ ذِكرُهُمْ في الآفاقِ، وحَظِيَ فيها بِمنزلةٍ رفيعَةٍ، ولَقيَ حَفاوَةً كبيرةً مِنْ قبلِ الأَمِيرِ «أَبي عَبْدِ اللهِ» ثَالِثِ ملوكِ بَني الأَحمرِ في الأَندلُسِ.

ولَكِنْ سرعانَ ما دَعاه أَحَدُ حُكَّامِ المَغربِ، فَقَفلَ راجعاً مِنَ بِلادِ الأَندلسِ، وأَقامَ في

مدينة بجايَةَ وتَولَّى وظيفةَ الحِسْبَةِ والحجابَةِ، وهي أَرْفَعُ مَنصِب في الدَّولَة، وتعادِلُ في زَمانِنا هَذا مَنصِبَ رَئيس الوزراءِ.

ولأنَّ ابْنَ خلدونَ يَتمتَّعُ بِنفسٍ زكيَّةٍ، ويتحلَّى بِعلمٍ زاخرٍ قَرَّرَ عَدمَ التَّعاونِ مَعَ الحُكَّامِ المُسْتَبدينَ، وعَدَمَ قُبولِ أَيِّ مَنصبٍ في دَولَتِهِم التي تقومُ عَلى الظُّلمِ والعُدوانِ والإرهابِ.

❋ ❋ ❋

عِنْدما اضطَربَ الأمنُ في بِجايَةَ وهَاجَ النَّاسُ وماجُوا اتُّهِمَ ابْنُ خَلدونَ بمُساندَةِ الثَّورةِ الشَّعبيَّةِ التي كانَتْ عَلى وشكِ النُّشوبِ، وكادَتْ أَنْ تُفلِحَ في إِسقاطِ لِواءِ الحاكِمِ المُسْتَبِدِّ، ولِهذا اعْتُقِلَ ابن خَلدونَ ثُمَّ تَمَكَّنَ مِنَ الفَرارِ إِلى مدينةِ «مسكرة» وأَقام فيها عِدَّة سَنواتٍ وهو يَبُثُّ عِلمَهُ بينَ النَّاسِ.

عندَما ضَاق ابْنُ خلَدونَ ذَرْعاً مِنَ الإِقامَةِ في مَنفاه، غادرَ «مسكرة» وقَصَدَ مدينةَ فَاس، ودَأَبَ فيها على الانخراطِ في صفوفِ العلماءِ المُعارِضين ـ بَلْ كانَ في مُقدمتِهِمْ ـ لأَداءِ السَّلاطينِ والأُمراءِ في سياسَةِ البِلادِ والعبادِ، وكانَ لِدَعوةِ ابْنِ خلدونَ وآرائِهِ الجَريئَةِ في إِسقاط حكم الاستبدادِ سُلْطان في نفوس العَامَّةِ، فَلوحِقَ مِنْ قِبَلِ الحُكَّامِ وَأعوانِهِمْ، وقَبْلَ أَنْ تطالَهُ أَيدي الجلَّادينَ، رحلَ إِلى الأَندلُسِ مَرَّةً أُخْرى وأَقامَ في مدينَةِ غُرناطَةَ، ثُمَّ وَجَدَ نفسَهُ مُضطَّراً للعودَةِ إِلى بِلادِ المغربِ، واعْتَصَمَ في قصرٍ من قصورِ بَني عَريفٍ في قلَعةِ «ابْنِ سَلامَةَ» جنوبي مدينَةِ قُسْطَنطينيَةَ في الجزائر، وفيها اعْتَزَلَ النَّاسَ والعَملَ السِّياسيَّ بيْنَ أُناسٍ رَضوا بِالذُّلِّ والهَوانِ تَحتَ ظِلِّ حُكمِ المُسْتَبدِّينَ.

عَكَف ابْنُ خَلدونَ في قَصْرِ بَني عَريف عَلى المطالَعةِ والبَحثِ والتَّأْليفِ، وتمكَّنَ مِنَ البدء في وَضْعِ كِتابِهِ الشَّهيرِ والثَّمينِ «كتاب العِبرِ وديوان المُبتدأ والخَبَر» وقَدَّمَ لَهُ بِمُجمَلِ آرائِهِ الاجتماعيَّةِ والفلسفيَّةِ، وأُضيفَ إليهِ الجِزْء الأَوَّل مِنْ هَذا الكِتابِ، وعُرِفَ ذَلِكَ بِاسمِ «المُقدِّمَةِ» الشَّهيرةِ.

وبعد مُضيِّ وَقتٍ طويلٍ مِنْ إقامَتِهِ في قَصْرِ بَني عريف راوَدَهُ الحَنينُ إلى بَلدِهِ ومَسْقَطِ رَأسِهِ مدينَةِ تونُسَ، فَرَحلَ إليها، وأَقامَ فيها فَترَةً مِنَ الزَّمَن مُحاطاً خِلالَها مِنْ قِبَلِ حاكِمِها بِالحفَاوةِ والتَّبجيلِ، وأُسْنِدَ إليهِ بَعضُ الأعمالِ الحكوميَّةِ الهامَّةِ، ولَكِنَّ ابْنَ خَلدونَ مَلَّ مِنْ صُحبَةِ الحُكَّامِ الَّذينَ يقولونَ ما لا يَفعلونَ، ودَاخَلَ نَفسَهُ المَلَلُ والاشمئزازُ كَذَلكَ مِنَ السِّياسَةِ وأَهلِها، وخَرجَ مِنْ تونُسَ مُتظاهِراً أَمامَ الحاكِمِ بِالحجِّ إلى الدِّيارِ المُقدَّسَةِ في مَكةَ، وَلكِنَّهُ نَزَلَ مِصْرَ واسْتَوطَنَ فيها، وحَجَّ فيما بَعْدُ.

❋ ❋ ❋

وفي مِصْرَ أُحيطَ ابْنُ خلدون بِالإكرامِ والتَّرحيبِ مِنْ قِبَلِ عُلمائِها وأَهلِها، وأَنزلوهُ مَنزلاً رفيعاً بَينَهُمْ، فَاسْتَوطَنَ في مَدينَةِ القَاهِرَةِ، وشَرعَ في إلقاءِ دُروسِهِ العلميَّةِ في الجامِعِ الأَزْهَرِ، فَأَبْهَرتْ علومُهُ ومعارفُهُ عُقولَ المَصريِّينَ، فَطفِقُوا يَتَدفَّقونَ إلى مَجلسِهِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وصَوْبٍ.

وفي القاهِرَةِ اتَّصَلَ بِالمَلكِ الظَّاهِرِ بَرقوق الّذي أَكرمَ وِفادَتَهُ، وأَبْدَى مَعَهُ تَعاطُفاً عظيماً، خاصَّةً بَعْدَ أَنْ غرقَ أَهْلُهُ وبَنوهُ في السفينَةِ وسطَ البَحرِ عِندما دَعاهُمْ للإقامةِ في

مِصْرَ. فَقدَّرَ المَلِكُ الظَّاهِرُ بَرقوقُ لابْنِ خَلدونَ هَذا المَصابَ الجلَلَ الّذي مُني بِهِ مِنْ أَجْلِ مَحبَّتِهِ لِمصْرَ وأَهْلِها، فَقَلَّدَهُ مَنْصِبَ قَاضي قُضاةِ المالكيَّةِ في مِصْرَ كُلِّها.

وعِندَما اجتاحَت جحافِلُ الغَزوِ المَغولي بقيادة «تيمورلنكَ» بِلادَ الشَّامِ، خَرَجَ ابْنُ خَلدونَ بِصُحبَةِ الملكِ النَّاصِرِ بْنِ الظَّاهرِ بَرقوق عِندما أَزمَعَ هَذا الأخيرُ على الخروجِ بِجَيشِهِ إِلى الشَّامِ لملاقاةِ «تيمورْلَنك»، ولَكِنْ عِندما وَصلوا إِلى هُناكَ وَجَدوا أَن المغولَ قد أَحكموا سيطرتَهُمْ على دمشْق، وخِلالَ اللَّيل داهَمتْ جيوشُ المَغولِ مُعسَكر المصريِّينَ على مَقْرُبَةٍ مِنْ دِمشقَ، فاستطاعَ المَلكُ النَّاصِرُ العودَة إِلى مِصرَ، بينما وقعَ ابْنُ خلدونَ في الأَسْرِ.

وعِنْدَما التَقَى ابْنُ خَلدونَ بِالقائِدِ المَغولي تيمورلَنْكَ أطلَقَ سَراحَهُ وأَسْنَدَ إِليهِ قضاءَ دِمشقَ، بَعْدَ أَنْ أُعْجِبَ بعلمه ومَعارِفِهِ الواسِعَةِ، فَأقام ابْنُ خَلدونَ فَترةً يُلقي عَلَى النَّاسِ عِلمَهُ ومعارفَهُ، وَلكِنَّهُ كَعادَتِهِ في عَدَمِ الولاءِ لِلطُّغاةِ والمُستبدِّين، تَظَاهَرَ أَمامَ تيمورلنكَ بِالسَّفَرِ إِلى القَاهرةِ لِاستقدامِ وجَلبِ كُتُبِهِ، وعِندما وَصَلَ القَاهِرَةَ بَقيَ فيها مُواظِباً على إِلقاءِ الدُّروسِ في الجامعِ الأَزهَرِ، وعاكفاً على التَّأَليفِ والتَّصنيفِ حَتَّى أَدرَكَتْهُ الوفاةُ سَنةَ (808) هجريَّةً، ودُفنَ بِالقاهِرَةِ، ولا يَزال قبرهُ مَعروفاً فيها إِلى يومنا هذا.

❋ ❋ ❋

عُرفَ ابْنُ خَلدونَ على مُستوى العالَمِ أَجمَع على أَنَّهُ عَلَمٌ مِنْ أَعلامِ الفِكْرِ العَربيِّ والإِسلاميِّ الموهوبينَ والنَّادرينَ، وبِأَنَّهُ مِنْ عِظامِ الرُّوادِ العُلماءِ الّذينَ بَرعوا في عُلومِ

التَّاريخ والجُغرافيا والعُمرانِ البَشريِّ، والاجتماع الإِنْسانيِّ، وفي تاريخ الفِكرِ الإنسانيِّ عَامَّةً.

وهُوَ أَوَّلُ مَنْ وضَعَ الأُسُسَ الأُولى لِعلمِ الاجتماع ولعلمِ العُمرانِ البشري الّذي يَبْحثُ في نُشوءِ المُجتمعاتِ الإِنسانيَّةِ والقوانينِ الّتي تَتحكَّمُ في نشوئِها وازدِهارِها، وسُقوطها.

كَما يُعتَبرُ وَاضِع حَجَر الأَساسِ لِمَا يُعرَفُ بِعلمِ فَلسَفَةِ التَّاريخِ، وعَرَّفَ عِلمَ التَّاريخِ تعريفاً جَديداً لَمْ يَكُنْ معروفاً لَدَى أسلافِهِ مِنَ العُلماءِ والمفكرين.

يقولُ ابْنُ خلدونَ في تعريفِ عِلمِ التَّاريخ:

«أَمَّا بَعْدُ، فإِنَّ فَنَّ التَّاريخِ مِنَ الفُنونِ الّتي تتداوَلُهُ الأُمَمُ والأَجيالُ، وتَشدُّ إِليهِ الرَّكائبُ والرِّحالُ، وتَسمو إِلى مَعْرِفَتِهِ السَّوقَةُ والأَغفالُ، وتتنافَسُ فيهِ الملوكُ والأَقيالُ، وتَتَساوى في فَهمِهِ العُلماءُ والجُهَّالُ، إِذْ هُوَ في ظاهِرِهِ لا يَزيدُ عَلى إِخبارٍ عَنِ الأَيَّامِ والدُّولِ، وفي باطِنِهِ نَظَرٌ وتحقيقٌ وتعليلٌ للكائناتِ ومبادئِها، وتدقيقٌ وعِلمٌ بكيفياتِ الوَقائِعِ وأَسبابِها عميقٌ، فَهوَ لِذَلِكَ أَصيلٌ في الحِكمةِ عريقٌ».

ولِهَذا أَعَلى مِنْ شَأنِهِ علماءُ الغَربِ المعاصِرون، مُعترفين له بَيدِ السَّبقِ في مضمارِ عِلمِ فلسفَةِ التَّاريخِ والاجتماع البَشريِّ، قالَ عَنْهُ «روبرت فلنَت» عندما قرأ كتابَهُ «المُقدِّمةَ»:

«إِنَّ مَنْ يَقرأُ المُقدِّمَةَ بِإخلاصٍ ونزاهَةٍ، لا يستطيعُ إِلَّا أَنْ يعترفَ بِأنَّ ابْنَ خَلدونَ يسْتحِقُّ لقَبَ مُؤَسِّسِ علم الاجتماع وفَلسفَتِهِ».

أمّا «تونيبي» الأُستاذُ بِجامِعَةِ أكسفورد في كتابِهِ «دراسَة في التَّاريخ» فيعدُّ ابْنَ خلدونَ

مِنَ العباقِرَةِ، ويرى في مُقدمَتِهِ دَلائِلَ ساطِعَةً، عَلى سَعَةِ النظرِ، وعُمقِ البحثِ، وقُوَّةِ التَّفكيرِ، ويُتابِعُ أَحكامَهُ في ابْنِ خلدونَ فيقولُ:

«إِنَّ ابْنَ خلدونَ ـ في المُقدِّمَةِ الّتي كَتَبَها لتاريخِهِ العامِّ ـ قَدْ أَدركَ وتصوَّرَ وأَنْشَأَ فَلسفَةَ التَّاريخِ، وهو بِلا شَك أعظمُ عَملٍ مِنْ نوعِهِ خَلقَهُ أَيُّ عَقلٍ، في أَيِّ زَمانٍ ومكانٍ».

وقَدْ ذَكَرَ المُؤَرخونَ لابْنِ خَلدون كُتباً مختلفَةً: في الحِسابِ والمَنطقِ والتَّاريخ، وَلكِن أَهَمَّ كتابٍ له وَصَلَ إِلينا هو كتابهُ الشَّهيرُ «كِتابُ العِبَرِ وديوانُ المُبتدأ والخَبرِ في أَيَّامِ العربِ والعَجمِ والبَربَرِ ومَنْ عاصَرَهُمْ مِنْ ذوي السُّلطانِ الأكبر».

وهُوَ كِتابٌ في سَبعةِ مُجلداتٍ، ويُعتَبرُ الكِتابُ الأَوَّلُ هُوَ المُقدِّمَةُ «الشَّهيرةُ الّتي تدرسُ ظواهِرَ الاجتماع والعُمرانِ البَشريِّ، أَمَّا الدِّراساتُ التَّاريخيَّةُ والجغرافيَّةُ فَشمَلت السِّتَة مُجلداتٍ الأُخْرى.

الأَسْئِلَةُ وَالمُنَاقَشَةُ

1 ـ بِماذا اتَّسَمَ المَنْهجُ العَلميُّ الّذي اتَّبَعهُ ابْنُ خلدونَ؟

2 ـ إِلى مَنْ ينتسبُ ابْنُ خَلدونَ؟

3 ـ مِمَّنَ تعلَّمَ ابْنُ خلدونَ في بِدايَةِ حياتِهِ؟

4 ـ لِماذا لَمْ تُعجِب ابْنَ خلدونَ الإقامَةُ في فاس؟

5 ـ لِماذا لُوحِقَ ابْنُ خَلدونَ مِنْ قِبَلِ الحُكَّامِ وأَعوانِهِمْ؟

6 ـ لِماذا أَبْدَى الملكُ بَرقوقُ تعاطفاً مع ابْنِ خلدونَ؟

7 ـ ماذا قالَ «روبرت فلنت» عَنِ ابْنِ خَلدونَ؟

8 ـ مِمَّ يتألَّفُ كتابُ «العِبَرِ وديوان المبتدأ والخَبَرِ» وماذا احتوَى؟